لُباب العلم

في

تفسير سورة والنجم



مقدمة الكتاب

نحمدك اللهم يا من منحت عبادك المتقين ينابيع الحكمة، وأجريتها على ألسنتهم، ووفقتهم إلى ما فيه الرشاد والسداد في القول والعمل، ثم ألهمتهم أسرار تجلياتك وشوارق أنوارك حتى عرفوك بعد الجحود بأنك أنت الظاهر والباطن، وأنت على كل شيء قدير. سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أن « أدرك الهداية في وجود الضلال، والصفاء مع وجود الخلل » .[1]

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد عبدك ورسولك بيّن سبل الهداية لأمته، وقد قلت في حقه: **(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّه)** وارض اللهم عن آله وأصحابه **(الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّه ثُمَّ اسْتَقَامُوا)** فكانت معرفتهم بك عن مكاشفة وعيان، لا عن دليل وبرهان لما **(جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى)**.

(1) ـ النص من كلام الأستاذ العلاوي

أما بعد، هذا كتاب (لباب العلم في سورة والنجم) نقدمه للطبع بخط واضح.

والكتاب غني عن التعريف إذ كان الأستاذ العلاوي – رضي اللّه عنه – يريد وضع كتاب في تفسير القرآن الكريم على طريقة الإشارة وما يستنبط في آياته من دقائق وأسرار، وحكم وآداب، وقد كان حظ الأستاذ - رضي اللّه عنه - من الفهم والذوق لأسرار القرآن لا يدرك غوره، فأخذته سورة (والنجم) فاستخرج من بحرها هذه الجوهرة الثمينة المكنونة، الدالة على منزلته العلمية، وفهمه الثاقب لمعاني كتاب اللّه، بأسلوب قوي غريب ومنطق عجيب **(كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)**.

ذلك الباعث الذي دفعنا إلى طبع وإخراج ما خلفه الأستاذ الصوفي القطب أحمد بن مصطفى العلاوي، من تراث ثقافي، وزاد فكري أصيل، لينتفع به الجيل المسلم المعاصر الذي ينشد الإسلام في جوهره الأصيل، وعقيدته الراسخة التي تواجه حملات التبشير والإلحاد، والغزو الثقافي والتغريب اللغوي، ولم يأل الأستاذ جهدا في الدفاع

عن الإسلام، والدعوة إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى انتشر ذكره في الآفاق بما قدمه من أعمال جليلة وآثار قيمة، خدمة للإسلام والمسلمين في المغرب العربي ومشرقه، وأملنا في اللّه أن يحقق هذا التراث الروحي الديني ما تصبو إليه الأمة الإسلامية من عزة وكرامة، واللّه أدعو أن يسدد خطانا إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

يحي الطاهر برقة





والصلاة والسلام على النبيّ الكريم

يقول كثير المساوىء، عبد ربه أحمد بن مصطفى العلاوي:

حمدا لمن فجر في قلوب أوليائه ينبوعا من سره المصون، فأجرى على ألسنتهم من جداوله ما تقر به العيون، ثم استلفتنا لذلك الجانب بمقتضى قوله: **(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)** فحفت حوّل مركزهم القلوب، لأجل الاطلاع عما حجب عنها من الغيوب، فاستمطرتها سحائب الرحمة، وأشرقت عليها شموس المعارف وأقمار الحكمة، فأخذت من ذلك ما فيه الكفاية للعالمين، ثم رجعت نحونا قائلة، **(فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ)**.

هذا وقد سألتني أيها المحب - أصلح اللّه عاقبتنا وإياك - على أن نجعل تفسيرا في القرآن الكريم على طريقة أهل الفهم الخاص والذوق السليم، فما طلبتموه غير محال، لولا أن الوقت قد حَالَ، وعلى كل حال فتصديقا لرؤياك، وامتثالا لما هناك، جعلت أتفكر على أي شيء من القرآن

أقتصر، بعدما تبرأت من فهمي، وانسلخت عن وهمي، فأخذتني سورة (والنجم)، فجلت في بحبوحتها، وتفرست في مصونتها، فظهر لي أن لي فيها سبحا طويلا، فقلت: حسبي اللّه ونعم الوكيل، وبه المستعان. وإنني سميت ما جمعته بـ (لباب العلم في سورة والنجم).

قال تعالى: (**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**). قلت: إن افتتاح هذه السورة الكريمة باسم النجم يشعرنا ويستلفتنا لنعلم أن المقام ذو أهمية، نعم لما فيه من الطلوع والنزول، والاستعلاء والتنزل، وعليه فهو ملائم لأسرار غريبة، منها ما قدمناه، والزائد أن السامع إذا اعتبر هوي النجم مع عظم جرمه وعلو منزلته، ويهوي إلى الأسفل ثم يعرج، فلا يستغرب ما سيسمعه من عروج النبي إلى السماء، ونزول جبرائيل إلى الأرض – عليهما السلام –، إنما يرى ذلك من قبيل الإمكان، داخلا تحت تصرف قدرته عز وجلّ.

ويقول من الإمكان أن تجري عادة اللّه في أنبيائه، كلما كمل استعداد أحدهم للعروج يعرج به، فطرة اللّه التي فطرهم عليها. قال في إدريس: (**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**). وفي عيسى (**بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**). ومثلهما محمد

عليهم أفضل الصلاة والسلام، إلا أن محمدا رجع به لإتمام ما وجبَ عليه من جهة المكان، لا من جهة المكانة. والمعنى أن روحه - عليه السلام - لم تفارق الملأ الأعلى. قال مشيرا لهذا المقام: (**أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي**)، وهذا ما يخص الروحانية، وإلا فقد كان يطوي الليالي سويا.

ثم أقول: إن المقسم به كناية عن نور ثاقب تنتهي فيه الأنوار، وتستمد منه البصائر والأبصار. ولا يصرف بهذا الاعتبار إلا للنفس المحمدي والروح الأبدي، ولكل امرىء ما نوى، ولكل قلب ما حوى. قال تعالى: (**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**) والمناسبة، أو نقول وجه الشبه بين النجم والنفس المحمدي وجود الاهتداء في كل منهما، زيادة عن النور المتحد فيهما، والمعنى أن النجم يهتدى به بسبب هويه وعروجه ولولا ذلك لما اهتدي به، فصار ميله وانتقاله من لوازم الاهتداء، فكذلك النفس المحمدي، يهتدى به بسبب ميله عن مركزه الأسنى، الذي هو التوجه والتلقي من الألوهية إلى ما لابد منه من لوازم البشرية والأمور الاختصاصية، فيكون في ذلك أسوة واهتداءً للمقتدي.

وعليه، فكلما مالت نفسه – عليه الصلاة والسلام – إلى شيء نعتقد أن في ذلك الميل حكما عديدة وأسرارا مفيدة يعقلها العالمون، وليس من يعلم كمن لا يعلم، ولنحترز أن نرى ميله لشيء يقتضيه الطبع والاختيار، فيلزم فيه خروج عن الصراط القويم والطريق المستقيم، كلا، قال عالم السر والنجوى **(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)** أي ما ضل في حال تلبسه بما لابد منه مما خلق لأجله، وهو الاشتغال بالله والتوجه إليه.

والمعنى أنه لا يتناول الأشياء بطبعه كغيره. قال - عليه الصلاة والسلام -: **(حُبِّبَ إلي من دنياكم ثلاث)**، ولم يقل أحببت بإسناد الفعل لنفسه، فيتضح للبصير أنه مُسيَّر غير مخيَّر، فهو مع الخلق، كما أنه مع الحق، لا يحتجب بهذا عن هذا، **(وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا)**. وقد يتعذر الإفصاح عن ماهية ما هو عليه مع الحق حالة كونه مع الخلق. ولهذا قال تعالى: **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)**. فالمتبادر من الفهم أنه لا يتكلم بالقرآن عن هوى نفسه، والأعم من ذلك أنه لا يفعل فعلا ما من سائر الأفعال الظاهرة والباطنة إلا والله سبحانه وتعالى هو الفاعل به فيها، **(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)** ومن ذلك قوله: **(أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ)**.

ثم أقول: إن الأحسن من تفسير الهوى أنه المحبة، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى')**، أي أنه لا يفشي ما أكنه فؤاده من أسرار المحبة التي خصص بها دون بقية البشر، وقد قلَّ من يطيقها، حتى قيل في قوله تعالى: **(نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ)** إنها المحبة. كما قيل في قوله: **(رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ)** هي المحبة إذا أفرطت بصاحبها، وقد كان له منها - عليه الصلاة والسلام - أوفر نصيب، حتى لُقِّبَ بالحبيب، ومع ذلك لم يظهر عليه ما يؤذن بالجفاء، لأن المحبة منوطة بعدم إفشاء سر المحبوب، وحتى لو تكلف للنطق بما أكنه فؤاده لا تسعه الأسماع، ولا تألفه الطباع، لما اعتادته العبيد من جفائهم وانحرافهم عما هو الأهم، إلا بعد تصحيح الرابطة وتقديم الواسطة. ولهذا قال تعالى: **(إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى)** أي غير متيسر النطق به. وقيل في ذلك:

بَيْنَ الْمُحِبِّينَ سِرٌّ لَيْسَ يُفْشِيهِ * قَوْلٌ وَلاَ عَمَلٌ لِلْخَلْقِ يَحْكِيهِ

عيسى - عليه السلام - لاح عليه ما لاح على محمد من أنوار الحضرة الإلهية والاختطافات القلبية، إلا أن

محمدا كان قويا في حمل الأسرار على غيره، لم يظهر منه ما تستبعده الأفكار بسبب تعليم الحق له سبحانه وتعالى كيفية حمل الأسرار وهو قوله: (**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ**) أي علمه القوي المتين، لأن المِرّة تُطْلَقُ على المتانة والاستحكام، لكي يكون محمد قويا متينا في حمل الأسرار، ومدح المعلم مدح للمتعلم، ولهذا كان لا يفشي شيئا من ذلك إلا بين من يستحقه، وقد سأله بعض الصحابة بقوله: (**أحدث بكل ما أسمع منك يا رسول الله؟** فقال له: **إلا بحديث لم يبلغ عقول القوم، فيكون على بعضهم فتنة**).

ومن أجل ذلك لم يصدر من الصحابة ما تستبعده الأفكار، بخلاف غيرهم من أكابر القوم، فقد ظهر على أكثرهم ما يحتاج للتأويل كما احتاجت أقوال المسيح - عليه السلام - لذلك، حتى كان الحواريون يعجزون في أغلب الأحيان عن حل ألفاظه، حتى يفسرها هو بنفسه. ومن أخذها على ظاهرها ولم يتكلف لتأويلها يستدل بذلك على ألوهيته، ومن ذلك ما جاء في الإنجيل – إن سلم من التحريف – أنه قال مخاطبا للعموم: (أنتم من الأسفل أما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا

العالم). وقال أيضا في الإنجيل: (أنا والأب واحد). وقال أيضا لمن قال له (أرنا الأب، قال الذي رآني فقد رأى الأب، فكيف تقول أنت أرنا الأب، ألست تؤمن أنا في الأب والأب فِيَّ، الكلام الذي أكلمكم به، لست أتكلم به من نفسي، لكن الأب الحالّ فيَّ هو يعمل العمل).

فهذه الألفاظ إن صح نقلها تحتاج إلى تأويل وتفسير، كما احتاجت أقوال بعض العارفين لذلك، لأن الأخذ بظاهرها مضر للعموم وردها أشد ضررًا، لأنها لا تخلو عن حكمة يعقلها العالمون، ومن أجل هذا ونحوه انفرد محمد - صلى الله عليه وسلم - بالمزية حيث لم يُحْوِجْ أتباعه إلى حل ما يعسر حله، إنما كان يخبر كل أحد بما تسعه حوصلته في الإلهيات، لأن العقول متفاوتة، والأسرار متباينة، لقوله – عليه الصلاة والسلام –: **(حدثوا الناس على قدر عقولهم، أتريدون أن يكذبوا الله ورسوله).**

فكان بهذه المثابة أشرف العالمين على الإطلاق حتى قال عيسى - عليه السلام - مشيرا لبعثته، حسبما جاء في آخر باب من الإنجيل: (إن لي كلاما كثيرا أقوله لكم، ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن، وإذا جاء روح الحق ذلك فهو يعلمكم جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده،

بل يتكلم بكل ما سيسمعه، ويخبركم بما سيأتي، وهو يمجدني، لأنه يأخذ مما هو لي ويخبركم) فجاءت هذه البشارة المسيحية – بحمد الله – جامعة لكثير من صفاته – عليه الصلاة والسلام –.

ثم قال تعالى: **(فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى)**. الضمير من قوله **(فاستوى)** عائد على شديد القوة، وقوله **(بالأفق الأعلى)** حالة اختصاصية ورتبة تنزيهية، خالية عن الإضافات والنسب، إلا أنها غير حائطة بذاته تعالى، إنما هي وجْهٌ من وجوهه، **(وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا)**، وثم وجوه لا تحصى، وأوصاف لا تستقصى، وبها يتنزل الحق سبحانه وتعالى لأحبابه وأصفيائه، لكي نتمكن معرفتهم إياه، فإدراكه على الوجه السابق متعذر إلا بعد التنزل، كما تنزل لمحمد - صلى الله عليه وسلم - **(ثُمَّ دَنَا)** أي من المكانة لا من المكان، لاستحالة انتقاله واتصاله وانفصاله، وقوله: **(فَتَدَلَّى)** مبالغة في التنزل لا في النزول **(فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ)** هي غاية من القرب، وقوله: **(أَوْ أَدْنَى)** معناه بل أدنى من ذلك، حتى غاب - عليه الصلاة والسلام - عن القرب في عظيم القرب، ولولا دنوه سبحانه وتعالى وتنزله وتدليه لما أمكن لمحمد أن يعرفه على الوجه

الأخص، وهو بالأفق الأعلى، فإدراك الكنهية من هذا القبيل متعذر إلا لمن ارتضى بعد التنزل، فيدركه العبد على قدر علمه، ولا يدركه إلا في الخلق، لأنه خلق.

والمعنى أنه لا يظهر له إلا في مرآة الكائنات، وهو من قبل ذلك ظاهر، إنما يكشف العبد عن ذلك الظهور، فيقول رأيت الحق في الخلق، كما قال – عليه الصلاة والسلام –: **(رأيت ربي في صورة شاب أمردٍ)** وقال أيضا: **(ما رأيت شيئا إلا ورأيت اللّه فيه)**. وقال إبراهيم - عليه السلام - للكوكب:**(هَذَا رَبِّي)**. ورآه المسيح في نفسه فقال: (أنا والأب واحد، ومن رآني فقد رأى الأب)، إلى غير ذلك، والحق من وراء ذلك، وهذا باعتبار ما تتوصل إليه المدارك، ولك أن تقول هو ذلك، وكل شيء هالك، والأمر أجدر من أن يذكر على الوجه الأحق لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته.

وفي حالة انطوائه - عليه الصلاة والسلام - في ذات موجده حالة قربه قال تعالى: **(فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)** فذكر الموحى به موصولا فيه دلالة على عدم تيسر النطق به. والمعنى أنه أعظم مما تتخيله الأوهام، وبالتقريب هو غير الكلام المعهود الدال على الأمر والنهي، إنما هو خطفة

قلبية وحالة غيبية، بيانها قوله تعالى (**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**) فالوحي هنا جاء من قبيل الاختطاف والمواجهة والقرب والمشافهة، وهي حالة خصصت بالخفاء، (وبما سوى الذوق ما لها إفشاء)، فالعبارة لا تلائمها، ولو كانت ممن أوتي جوامع الكلم.

نعم قد صدر منه - عليه الصلاة والسلام - ما هو أقرب للإدراك، ومع ذلك استبعده كثير ممن اعتاد الجمود، وصيّر مذهبه معتقد اليهود، فقال لهم تعالى بصيغة التوبيخ: (**أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى**) أي تجادلونه وتعترضون عليه فيما كشف له من العظمة والجلال، وكان الحق عدم اعتراضكم فيما أخبركم به من رؤية الحق، لأن القلب يرى ما لا يرى البصر، فكيف لو أخبركم بما حصل عليه بصره من شهود الأسماء والصفات. (**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**) (**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**) أي مرة أخرى، وتعبيره بالنزلة مبالغة في التنزل، لأن هاته الرؤية كانت في الحس وما قبلها في المعنى، فجمع - عليه الصلاة والسلام - بين الرؤيتين، فباطنه للباطن، وظاهره للظاهر، وإضافة السدرة للمنتهى من إضافة الشيء لصاحبه، أي سدرة المنتهى إليه (**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى**).

والسدرة هنا عبارة عن المظهر من أصله. ومنهم من يعبر عن ذلك بشجرة الكون. ووجه المناسبة بين السدرة وما ذكرناه هو وجود تركيبها من ثلاثة أصناف: شوك وثمار وورق، وهذا ما في الكائنات (أزواجًا ثلاثة) واللّه يضرب الأمثال للناس لعلهم يتفكرون.

ثم أقول: إن هاته الرؤية أعز مما قبلها، لما فيها من جمع المفردات وطيّ المتشتتات وهي أعز من أن تكون لغير محمد - صلى اللّه عليه وسلم - إلا على سبيل الإرث، (العلماء ورثة الأنبياء)، ولهذا قال تعالى: **(عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى)**. والمعنى أنها غاية في معرفة اللّه، يصل إليها الواصل تغشاه فيها أنوار الحضرة الإلهية، بل تغشى العالم بأسره، حتى يصير لا يرى شيئا إلا ويرى اللّه فيه، كما تقدم في الحديث.

وهو قوله تعالى: **(إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى)** أي عمها وغطاها، وغشاها ما غشاها من أنوار الألوهية، حتى غابت كل الكائنات على اختلاف مراتبها، من جليل وحقير، في ظهور أنوار الأسماء والصفات **(اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)**.

ومن أجل هذا التجلي الأخير، المعبر عنه بالنزلة الأخرى، تمكن محمد - صلى اللّه عليه وسلم - بالرؤية البصرية، زيادة عما حصل له من الرؤية القلبية، وكان بصره في هذا الحال عين بصيرته، ولهذا مدحه سبحانه وتعالى بقوله: **(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)** أي ما زاغ البصر عما رأته البصيرة، وقوله **(وما طغى)** أي ما تجاوز وما التفت عما تجلى الحق له فيه، إنما كان يلاحظه في كل شيء، وهو - عليه الصلاة والسلام - أعرف الخلق بربه، فلا يفوته شيء من تجلياته سبحانه وتعالى كيفما كانت، وتحصل من هذا أن محمدًا - صلى اللّه عليه وسلم - اجتمع له الرؤيتان معا القلبية والبصرية، قال في الأولى **(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)** وفي الثانية **(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)**. ومن هذا القبيل قوله - عليه الصلاة والسلام -: «**رأيت ربي بعيني وبقلبي**» رواه مسلم.

ثم اعلم أن الأبصار لا يتراءى لها الحق كيفما كانت إلا إذا انعكست بصائر، كما انعكس بصره - عليه الصلاة والسلام - واتحد ببصيرته. قال في (روح البيان) نقلا عن صاحب (التأويلات النجمية): إنه - عليه الصلاة والسلام - اتحد بصر ملكوته ببصر ملكه، فرأى ببصر ملكوته باطن

الحق من حيث اسمه الباطن، ورأى ببصر ملكه ظاهر الحق من حيث اسمه الظاهر، ومن المعلوم أن الظاهر لا يتراءى إلا للظاهر، والباطن للباطن.

فإن قلت فما وجه امتناع الرؤية البصرية في الدنيا لغيره - عليه الصلاة والسلام -، مع أن البصر لا يحول شيء بينه وبين ظهوره - سبحانه وتعالى - وما وجه الاختصاص؟ فأقول: إن الامتناع ليس هو من حيث الحقيقة الذاتية بمعنى أنها غير قابلة أن يقع عليها البصر، إنما الامتناع متوقع من عدم استعداد الأبصار، ولذلك قال بعض الأكابر: إن المانع من رؤية الحق في هذه الدار هو عدم معرفة الخلق له، وإلا فإنهم يرون، ولا يرونه أي فلا يعرفون أن ذلك المرئي لهم هو الحق، فيكون الحجاب متوقعا من قبيل البلادة لا غير.

ووجه اختصاصه - عليه السلام - بها من جهة كونه أكمل في الفطانة من غيره، فعلم يقينا أن البصر لا يتعلق بالمفقود، وأن ما وقع عليه البصر لا يخلو من ظهور الحق فيه، لأن الأشياء من ذواتها العدم، ومن هاته الحيثية حصل على الرؤية البصرية، وكل من له أدنى نصيب من الفطانة النبوية لا يُحْرَمُ حظّهُ من ظهوره تعالى في الكائنات.

ثم أقول: إن الرؤية القلبية شأنها أقرب في التعلق بجانب الحق عز وجلّ، بخلاف الرؤية البصرية، فقد يتعذر عليها جمع المفردات وطي المتشتتات إلا إذا غشى الكون ما غشيه من أنوار التوحيد الموقدة من شجرة (**أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**)، وهي غاية قصوى لمن حصل عليها، وإليها أشار بقوله - عز وجل - في حق محمد - صلى الله عليه وسلم - (**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**)، أي رأى من آيات ربه الآية الكبرى، فتكون الكبرى نعتا لمنعوت محذوف.

ثم اعلم أن هاته الآية غير الآية المذكورة في قوله: (**لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**) لتخصيصها بالكبرى. وفي ذلك ما يشعرنا أيضا أنها ليست من جنس الكائنات، ولا من تجليات الأسماء والصفات، إنما هي راجعة لشهود أنوار الذات المقدسة، فلهذا قيّدت بالكبرى، فكانت هاته الحالة عنده أعظم من سائر الأحوال، وفيها قال: «**لي وقت لا يسعني فيه غير ربي**»، ومن ذلك قوله - عليه الصلاة والسلام -: (**اللهم زدني فيك تحيرا**) ولو كانت الآية غير الرؤية لزم أن يكون شأنها في نظره أعظم، لاتصافها بالكبرى، والحالة أن رضوانا من اللّه أكبر.

ثم اعلم أن ما قدمناه من تعلق البصر بشهود الحق هو مستبعد جدا عند الكثير ممن يدعي العلم فضلا عن غيره، وربما يحمل ذلك على المنع عقلا وشرعا. وبذلك قالت المعتزلة، ورأوا أنهم قد أحسنوا حسبما يلزمهم على ذلك من تحيز المرئي لتمكن إيقاع البصر عليه، ولم ينتبهوا لما يلزم على ذلك من امتناع تعلق بصره سبحانه وتعالى بالكائنات، لأن في تعلق بصره بالكائنات يلزم تحيزه على المرئي ليتمكن إيقاع البصر عليه، وإذا لوصفناه بعدم الإدراك، تعالى اللّه عن ذلك، والنجاة في تسليم المقام لأربابه، لأنه أغمض من أن تتوصل إليه العقول. قال تعالى: **(وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)**.

فالبصر تقع عليه المسؤولية مهما وقع على ما سوى اللّه، كما تقع على السمع إن سمع من غير اللّه، وعلى الفؤاد إن خطر فيه ما سوى اللّه، ولبعضهم في هذا المعنى:

وَإِنْ خَطَرَ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ * عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَضَيْتُ بِرِدَّتِي

وقد أعاب الحق - سبحانه وتعالى - على من تعلق بصره بما سواه من الكائنات، فقال بصيغة التوبيخ:

(أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى)، أي أنكم استبعدتم وأنكرتم ما وقع لمحمد - صلى الله عليه وسلم - من المكاشفة على حقيقة الحقائق، التي يحق للبصر أن لا يقع إلا عليها. فلم لا تعيبون على أنفسكم فيما وقعت عليه أبصاركم، وتعلقت به رغبتكم من المكونات التي لا وجود لها في الواقع، إنما هي خيالات وهمية، وأشكال واهية، تخاطب العاقل بلسان حالها **(إنما نحن فتنة فلا تكفر)**، أليس من الغريب وقوفكم عندها واعتمادكم عليها، حتى استنتجتم منها آلهة، فوقعت عليها أبصاركم، فرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، وغير ذلك مما يناقض توحيد الذات كالعلل والأسباب والوسائط، فكانت ثقتكم بأنفسكم أكثر من ثقتكم بالله، وهو قوله: **(أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى)** أي أنكم أسأتم وجرتم في قسمتكم، حيث نسبتم لأنفسكم أكثر ما لله، فأين أنتم من الأسماء الأقدسية والتصرفات الإلهية، فقد بلغ الغلط منتهاه.

والمعنى أن كل ما رأيتموه واعتمدتموه لا حقيقة له في الواقع **(إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)**. أي لا برهان لكم تعتمدونه على تأثيرها في الوجود وإثباتها في الشهود **(إِنْ يَتَّبِعُونَ**

إلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ). ومن المعلوم أن النفس لا تهوى إلا ما يوافقها من الوهميات، لأن وجودها وهمي، والظن لا يغني من الحق شيئا.

ثم أقول: إن النفس من طبعها الغريزي عدم استسلامها ولو بجانب الحق، ولهذا تعارض من التوحيد ما يقتضي اضمحلالها بقدر الإمكان، ولو بإثبات العلل والوسائط، ولو على سبيل المجاز، حسدا من عندها، ومهما أشير لها بالتوحيد المحض، وأن الخلق لا خلْقَ، وأن اللّه تعالى هو المنفرد في الوجود، ذاتا وصفاتا وأفعالا لا غير، تولّتْ مدبرة قائلة: (**مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ**) لأن فيه ما يمحو أثرها من لوحة الوجود، فلهذا تشمئز عند ذكر التوحيد المحض، (**وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ، وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**)، وهذه قاعدة مشهودة وحالة موجودة في كل نفس أمارة بالسوء (**وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**) لكن لمن اهتدى، (**وَكَأَيٍّ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**).

جاء في الكتب السماوية والأحاديث النبوية ما فيه الإشارة للتوحيد المحض، ولكن النفوس أخلدت إلى

الأرض، وتشبثت بالند والضد، أو ليس في قوله تعالى: (**أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**) وقوله: (**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**) ما يمحو آثار الغير كقوله: (**أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ**) وقوله: (**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**)، وقوله: عليه الصلاة والسلام من حديث (**لو دليتم بحبل إلى الأرض السابعة لهبطتم على اللّه**) وغير هذا مما يشعرنا بإحاطته سبحانه وتعالى بالأشياء الإحاطة العينية، أي هو ولا شيء.

وهكذا كانت الإشارة تأتي إلى التوحيد الخاص على ألسنة المرسلين بقدر ما تسعه حوصلة السامعين، (**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ**) لئلا تقول النفس (**مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ**)، أي ما جاءنا من مشير للمقام الخاص، (**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**).

ومن ذلك حجة إبراهيم على قومه، إذ رأى كوكبا قال هذا ربي، إلا أنه وجد القلوب غير مستعدة لحمل الحقائق المحضة، فسلاّهُ الحقُ من أن يغتم من تقصير قومه بقوله: (**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ**) ولبعض العارفين في هذا المقام:

فَتَرَايْتَ فِي سِوَاكَ لِعَيْنٍ * بِكَ قَرَّتْ وَمَا رَأَيْتُ سِوَاكَ
وَكَذَا الْخَلِيلُ قَلَّبَ قَبْلِي * طَرْفَهُ حِينَ رَاقَبَ الأَفْلاَكَ

وما من داعٍ إلى اللّه بإذنه إلا ويجهد جهده في الدلالة عليه، (**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**).

ولنشير للبعض من ذلك فأقول: جاء في (سفر التكوين) من التوراة عن سيدنا يعقوب - عليه السلام - أنه قال (إن اللّه ضابط الكل، استعلى عليّ في لوز بأرض كنعان). ومثل هذا ما جاء في (سفر الخروج) من (التوراة) أيضا في حق موسى - عليه السلام - (تراءى لي الرب في لهيب النار) المشار لها في الكتاب في قوله تعالى: (**انِّيَّ آنَسْتُ نَارًا**). وفي (الإنجيل) من هذا القبيل ما يتعذر نقله، وفي السنة ما فيه الكفاية، وما ذكرنا هذا إلا لنعلم أن إشارة المتقدمين والمتأخرين ترمي لما وراء الأشياء، وأنها لم تخلق سدى، وعلى أن لها الحظ الوافر من ظهوره سبحانه وتعالى فيها، أو نقول بها، فلا نتقيد بالمظاهر عما يقتضيه الظاهر، إذ لو كانت السماء سماءً والأرض أرضًا، أي مجردين مما يعز إفشاؤه لما مدح سبحانه وتعالى إبراهيم – عليه السلام – بقوله: (**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**) فعلمنا أن في الزوايا خبايا، المشار لها بقوله تعالى: (**قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**) وهذا ونحوه مما يهتدى به مفيد للعلم بأنه سبحانه وتعالى هو القائم على كل نفس بما كسبت.

قال بعض الأكابر من أهل زماننا: إن شئت أن ترقى عن درجة أهل الدليل والبرهان فلازم **(قُلْ هُوَ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)**، وانظر هل تجد غيره قائما بنفسه ثابت البنيان، بل لا تجده إلا هالكا ومتجددا في كل آن، وما بعد العيان من برهان ولا بيان، **(هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ)** في كل الأطوار والأحيان **(كَانَ اللَّهُ وَلاَ شَيْءَ مَعَهُ)**، وهو الآن على ما عليه كان. وهكذا ما من إشارة صدرت من العلماء باللّه إلا وفيها ما يهتدى به إلى أعلى درجات الإحسان، ولكن اللّه يهدي من يشاء.

ولما علم سبحانه وتعالى ما تعوّدَه المرشد بالطبع من تَمَنِّي الهداية لجميع خلق اللّه، وبالأخص المصطفى - صلى اللّه عليه وسلم - مع أمته، أراد سبحانه وتعالى أن يستلفت ذلك المنصب الشريف لتعلقات الإرادة ومظروفات القدر، حتى لا يغتم بسبب ما تعارضه من نقائض رغبته، فقال تعالى: **(أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى)**، أي فليس للإنسان كائنا من كان جميع ما يتمنّاهُ إلا ما وافق القدر، فلا يقضي بك حرصك أيها المرشد على الهداية إلى الخروج من جادة التفويض، وإلا **(فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا**

فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ، فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى) والحالة أنه لم يشأ، ولو جمعهم على الهدى لزم تَخَرُّمُ ما اقتضته الحكمة مَن أن فريقا في الجنة وفريقا في السعير، وذلك مستفاد من قوله تعالى: (**فلله الآخرة والأولى**)، فكلا الدارين للّه سبحانه وتعالى، وهو الفاعل المختار.

ومن كمال اعتنائه بتسلياته لمحمد -صلى اللّه عليه وسلم- من أن يصيبه من الغم ما يؤثر في باطنه بسبب ما اعتاده قومه من الجفاء وغلظة الطبع، وعدم الإنقياد، مع مقابلته لهم بأنواع البرور، كالهداية والشفقة والالتجاء للحق في هدايتهم سرا وعلانية، مع صبره على ما يعارضه من تهديدات الألوهية على شدة حرصه، كقوله تعالى: (**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**) وقوله: (**مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى**) وقوله: (**اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ**) وقوله: (**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيءٌ**). وغير ذلك مما يفتت الكبد، وربما كان يرجع على نفسه، ويرى ذلك نقصانا في منصبه، حيث لم يستجب له في تيسير أنواع الهدايات لقومه، فقال سبحانه وتعالى على

سبيل التسلي والتصبر: (**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا**).

وعليه، فلا يكون ما أصابك قادحا في منصبك ولا في منصب غيرك من الشفعاء، إنما الشفاعة تأتي طبق الإرادة، وهو قوله تعالى: (**إلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**)، أي لا تأثير لمخلوق، ولا شفاعة لأحد إلا من بعد أن يأذن الرحمن بالشفاعة لمن يشاء فيمن يشاء، وعليه، فتكون الشفاعة من اللّه لامن غيره (**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**) (**إِنَّ الذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ**).

والمعنى فلا نرى مؤثرا في الشفاعة إلا اللّه ولو مع وجود أربابها، (**وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**)، إلا إذا ظهر سبحانه وتعالى فيمن يشاء بما يشاء من فيض رحمانيته وحنانيته وشفقته، كما ظهر في محمد - صلى اللّه عليه وسلم -، فقام معارضا للغضب دنيا وأخرى، وكان الحق هو المعارض لنفسه بنفسه على ما تقتضيه الأسماء الإلهية والنعوت الأقدسية، فكل يجري لحقيقته.

ومن ذلك قوله - عليه الصلاة والسلام -: (**أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك**)، وهذه غاية في

ملاحظة الحق في الفاعل والمفعول من سائر جزئيات السخط والرضى، إلا أنها جلت من أن تصافحها الأفكار.

وعليه، فلا تيأس أيها النبي على عدم اطلاعهم على المكونات، وأنت ترى **(إِنَّ الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَّةَ الأُنْثَى)** فكيف تطمع بعقول بلغت الغاية في الخسة أن تتلقى أنواع المعارف الإلهية والكشوفات الغيبية مع ما أكنته من الخرافات الواهية التي لا تستطيع المحيد عنها. وإلى الآن تجد من يجنح لهذه الخطة على التقريب، ويحسب أن له أوفر نصيب، يجادل في الله بغير علم، لا يصغى لخطاب، ولا يفرغ من عتاب، **(وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ)**.

والحاصل أن الحجاب مانع من إدراك الحقائق على ما هي عليه، فسائر أفراد الطالبين من غير أهل اليقين والنور المبين، ما لهم بما عند الحق من علم، **(إن يتبعون إلا الظن)**، فلهذا يتقوى إيمانهم تارة ويضعف أخرى، ولا يدري في العاقبة على أي حالة يكون، لعدم اطلاعهم على حقائق الأشياء، بخلاف العلماء بالله، فإنهم عرفوا الأشياء من أصلها، ودخلوا البيوت من أبوابها، فكشف لهم عن حقائق الذات الجامعة لسائر الأسماء والصفات،

فعرفوه سبحانه وتعالى على الوجه اللائق بجلاله، وكانت معرفتهم ناشئة عن مكاشفة وعيان، لا عن دليل وبرهان، وهؤلاء يحق اتصافهم بالعلم، لأن العلم هو إدراك المعلوم على ما هو عليه إدراكا كشفيا، فكانوا شهودا على وحدانية اللّه، كشهادته على نفسه، (**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ، وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ**) ومن لم يصل إلى رتبتهم لا يتصف بالعلم، أي لا يصدق عليه عالم باللّه، وقد يكون عالما بأحكام اللّه، والعلم يتشرف بشرف المعلوم.

وكل من لم يلاحظ ما وراء الكائنات من أسرار القيومية، وأنوار الديمومية، لا يؤمن عليه أن تبعث بفؤاده الوساوس وغيرها من الشكوك والأوهام والظنون، وإن كان الظن هو أعلاها فإنه لا يغني عن اليقين، لقوله تعالى: (**وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**).

ومن الغريب أن أهل هذا المقام لا يبغون عنه حولا مع ما يكابدون فيه من الشكوك والوساوس، وكل ذلك بسبب إعراضهم عن اللّه، وعدم اعتنائهم بما تستحقه الذات المقدسة من التوجه الكلي إليها، والإدبار عما سواها. ولما قاموا بالعكس، واستبدلوا المعنى بالحس، والقلب بالنفس، وجب الإعراض عنهم بمقتضى قوله تعالى لنبيه

- عليه الصلاة والسلام - **(فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا، وَلَمْ يُرِدِ إِلاَّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)**، أي أعرض بكليتك عنه، ولا تعلق قلبك بتخليصه مما هو عليه، **(كل ميسر لما خلق له)** **(آنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ، إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ)** لا من أعرض عنه واتخذ إلهه هواه، وبالأخص المستولي حب الدنيا على قلبه الآخذ بمجامعه، فلا سبيل لهدايته، لفنائه واضمحلاله في محبوبه، وغيبته عما سوى مطلوبه المسمى بالدنيا، ومن أحب شيئا كان له عبدا.

فالبطبع هو لا يرى ولا يسمع إلا بها، كما أنه يرى كل من سلك على غير سبيله، وأشار لما سوى مطلوبه بعين الاستخفاف، وقد جربنا كثيرا ممن أخذ حب الدنيا أفئدتهم، فوجدناهم صورا لا معنى فيها، لهم قلوب لا يعقلون بها، وآذان لا يسمعون بها، يقولون سمعنا وهم لا يسمعون، لاهية قلوبهم، فظهر لي أنهم تماثيل خلقوا للاعتبار، فاعتبروا يا أولي الأبصار **(إِنْ هُمُ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ، بَلْ هُمُ أَضَلُّ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)**.

ولما بالغ التنزيل في تخسيس من هذه صفته استلفت السامع للاعتدال حتى لا يفرط به معتقده في الخليقة، فيخرج عن مطلوبية الاعتذار، والنظر إلى القدر، قال

تعالى: (ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) فتعين على من له بصيرة أن لا يرى الخلائق على اختلاف طبقاتهم إلا بعين تعذرهم فيما هم عليه، والمعنى، فلا نرى ما هم عليه مجردا من الحكم الإلهية، والحالة أن جميع ما في الوجود إلا وللناموس الإلهي فيه معنى، وهي نظرة الخاصة من الموحدين، ومن قولهم:

فَلاَ عَبَثٌ وَالْخَلْقُ لَمْ يُخْلَقُوا سُدًى * وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَفْعَالُهُمْ بِالسَّدِيدَةِ
عَلَى سِمَةِ الأَسْمَاءِ تَجْرِي أُمُورُهُمْ * وَحِكْمَةُ وَصْفِ الذَّاتِ لِلْحُكْمِ أَجْرَتِ
يُصَرِّفُهُمْ فِي الْقَبْضَتَيْنِ وَلاَ وَلاَ * فَقَبْضَةُ تَنْعِيمٍ وَقَبْضَةُ شَقْوَةِ
أَلاَ هَكَذَا فَلْتَعْرِفِ النَّفْسُ أَوْ فَلاَ * وَيُتْلَى بِهَا الْفُرْقَانُ كُلَّ صَبِيحَةِ

فكأنه سبحانه وتعالى قال لنبيه - عليه الصلاة والسلام - **(أعرض عمن تولى عن ذكرنا)**، ولا تعترض أو تعارض ما هو عليه بقلبك فتفوتك ملاحظة سر القدر.

ثم أقول: إن التسليم لا يقع من الإنسان على الوجه الأكمل إلا بعد الانكشاف عن مكنونات القضاء والقدر، وإن كان مع جودة الفكر لا يستطيع أن يدرك الهداية في وجود الضلال، والصفاء مع وجود الخلل، وإن اتضح له ذلك من وجهة يتعذر من الأخرى، إلا بعد ما يطوي

المقدور في وجود القدر، والقدر في وجود المقدر، فحينئذ لا يبقى له من جهة متعلقات الإرادة أدنى ارتياب، إنما يرى الكل على أحسن خطة وأكمل سيرة، والحكمة أجل من أن تتضح للعموم، أو تحيط بها الفهوم، وقد انكشفت هاته الحقائق لخاصة الخاصة من الموحدين، والحمد للّه رب العالمين.

ثم أقول: إن ما عليه بواطن أهل الخصوصية من جهة سريرتهم مع اللّه، وكيفيات وصولهم إليه وفنائهم فيه، غير متيسر ذكره، وكل من يريد الإفصاح على معلوماتهم والاطلاع على مكنوناتهم من غير ما ينخرط في سلكهم، ما يزداد من اللّه إلا بعدا. وإلى الآن تجد الناس جاثين على معلوماتهم مختلفين في مقاصدهم، ومن ذلك ما قاله بعضهم:

تَخَالَفَتِ الأَقْوَالُ فِينَا تَبَايُنًا * بِرَجْمِ ظُنُونٍ بَيْنَنَا مَا لَهَا أَصْلُ

وما زالت ألسنة الخلق فيهم بين مَدْحٍ وقَدْحٍ، والكل يقول فيهم باجتهاده والحق من ورائه، أو نقول لا يمر على أفكاره، ومن المعلوم أن الإنسان كائنا من كان لا يخطر بباله أن وصول العارف إلى اللّه هو وصوله إلى

نفسه لا غير، وحتى لو قال به فيكون على سبيل الإيمان والتقليد، وأما الكيفية فمجهولة. وقد جاءت الإشارة بهذا في التنزيل، من قوله **(فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ)** أي والمعنى أن غاية ما يهتدي إليه السائر أن يهتدي إلى نفسه، أي يعرفها، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه، وغاية ما يضل فيه السائر أن يضل عن نفسه، أي يجهلها، ومن ذلك قوله تعالى: **(نَسُواْ اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ)**.

ومن أجل هذا نقول: إن السبيل الموصل إلى اللّه أخفى من أن تتوصل إليه الخصوص فضلا عن العموم، بالرغم عما يبذله المرشد من توضيح المحجة وإقامة الدليل، ولا يزداد الخفاء في الفكر العام إلا إطنابا، ولهذا قال تعالى: **(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى)**. وبهذه المناسبة ظهر لنا أن ما ذكره الحق من الهداية والضلال في هاته الآية هما غير المعروفتين من الطريق الشرعي، وإلا فلا يكون علمهما موكولا إلى اللّه لوضوح المحجة، **(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)**.

فتعين أن المعنى راجع إلى ما هو أخص من ذلك، فلهذا كان علمهما راجعا إلى اللّه والراسخين في العلم،

والذي يزيدك انتباها لما ذكرناه هو إضافة السبيل إلى ضمير الألوهية، فعلمنا أن المراد بالسبيل سبيل الحضرة الإلهية لا غير، فمن سلكه انتهى أمره إلى اللّه، ومن لا قال تعالى: **(نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى)** ومن أجل ما لزمه من الخفاء احتيج إلى المرشد. قال تعالى: **(وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ)** بخلاف طريق الجنة، فإنه لا يلتبس على أحد لمباينته لطريق الضلال، (الحلال بين والحرام بين) إلا من غلبت عليه شقوته، واتخذ إلهه هواه، وعلى كل حال يكون على علم من انحرافه عن جادة الإستقامة.

وأما الطريق الموصل إلى اللّه فقد يلتبس على السائر كيفما كان، إلا إذا اتخذ رفيقا، ولا يلتبس في الغالب إلا بطريق الجنة، وقد يكون مختارا للطالب ظنا منه أنه أحسن المسالك الموصلة لحضرة اللّه، لما يرى فيه من أنواع الجزاء، (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)، فيتخذه سبيلا، حتى إذا بلغ غايته تعرضت له دار السلام بما فيها، فيقول: ما كان قصدي فيك. فتقول: أنا جزاؤك وأنا حظك. فلا يرضى بها جزاء، إلا أنه يقاد إليها بالسلاسل، لما في الحديث: **(عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل، حتى إذا دخلوها تكون عليهم حسرة)**. ومن

هذا قوله - عليه الصلاة والسلام - **(إن أهل الجنة يعوون في الجنة كما يعوي أهل النار في النار)** أو كما قال: وليس ذلك إلا لما فاتهم من مطلوبهم، وهكذا، إلا إذا فتح اللّه عليهم رضوانه. ومنَ هذا القبيل ما قاله بعضهم لما كشف له عن مقامه في الجنة حال احتضاره، والحالة أن قصده كان من ورائه، قال:

إنْ كَانَتْ مَنْزِلَتِي فِي الْحُبِّ عِنْدَكُمْ * مَا قَدْ رَأَيْتُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامِي
أمْنِيَةٌ ظَفَرَتْ رُوحِي بِهَا زَمَنًا * وَالْيَوْمَ أحْسَبُهَا أضْغَاثَ أحْلاَمِ

إلى أن قال:

دَارُ السَّلاَمِ إلَيْهَا قَدْ وَصَلْتُ إذَنْ * مِنْ سُبْلِ أبْوَابِ إيمَانِي وَإسْلاَمِي
يَا رَبَّنَا أرِنِي أنْظُرْ إلَيْكَ بِهَا * عِنْدَ الْقُدُومِ وَعَامِلْنِي بِإكْرَامِ

والحاصل أن اللّه سبحانه وتعالى ينزل العبد حيث أنزله العبد من نفسه، **(فمن كانت هجرته إلى اللّه ورسوله، فهجرته للّه ورسوله)** **(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الذِينَ أحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)** أي فلا يظلم ربك أحدا، فمن سار مع طريق يصل إليه، فمن كانت قسمته في الدنيا فلا يحرم

نصيبه، ومن كانت في الآخرة فعلى اللّه جزاؤه، ومن ليس له نصيب فيهما ولا في الأرض ولا في السماء، جعل له الحق تعالى قسمته من نفسه، وأبدله حقيقة من حقه **(إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)**.

ثم أقول: إنه لما كان الإنسان في الغالب يقول من هذه صفتهم فقد جلت واللّه سيرتهم، وتعالى منصبهم، وتعذر مسلكهم، فلزم أن لا نطمع في شيء مما هم عليه لعدم وجود الأهلية، وهذا هو قول الغالب ممن يتسم بالصلاح فضلا عن غيره، وهي من مصائد الشيطان يلقيها على الطالب لكي لا يتزحزح من مركزه.

ومن حسن تيسيره سبحانه وتعالى للطالبين، وشفقته على السائرين، أن رفع ما يتوهمه السائر أنه غير صالح للوقوف مع اللّه، حيث يرى من نفسه ما يراه، فذكر له نعت من يستحق الوقوف ببابه توسعا من فضله، فقال: **(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ)**، أي فمن كان هذا وصفه لا يعوقه ما يقترفه من الصغائر في حال سيره **(إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ)** فسيصلح ظاهره، ويطهر سريرته بما يلقيه فيها من أنوار التوحيد، **(إِنَّ الْمُلُوكَ**

إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ)، ومتى يستطيع العبد أن يتخلص من جميع مساويه حتى يتفرغ لطلب الحق؟ قال في الحكم العطائية: «لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك، ومحو دعاويك، لا تصل إليه أبدا، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه، ونعتك بنعته، فوصلك بما منه إليك لا بما منك إليه».

ولما كانت في أنواع الطالبين نفوس تعتمد على ما تكتسبه من العلم والعمل في سيرها إلى الله، وربما ترجع بسبب ذلك من حيث لا تشعر، أراد سبحانه وتعالى أن يستنقذها بمنه وكرمه مما هي عليه، فقال: **(هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَهَاتِكُمْ، فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)**، فكأنه سبحانه وتعالى يقول: لا تزكوا أنفسكم قبل تزكيتها، والخطاب - والله أعلم - عائد على غير المتمكن في مقام الفناء، وأما هو فتكون تزكيته لنفسه من باب شكر النعمة. قال عليه الصلاة والسلام: **(أنا سيد ولد آدم ولا فَخْرَ)**. ومن هذا القبيل أقوال العارفين، ويكون العارف في ذلك الحال متكلما بلسان الحق لا بلسانه، ومعبرا عن ذات الحق لا عن ذاته، وعليه فلا يكون داخلا في الفريق الأول.

ولما كان المقام أجل من أن يصل إليه كل سائر، والغالب على الأكثر الرجوع بعد الشروع، أراد سبحانه وتعالى أن يستلفت السائر لما هنالك، تفضلا منه، لكيلا يرجع بعد سيره، فقال: **(أفَرَأَيْتَ الذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى)** فجاء بهذا سبحانه وتعالى تثبيتا لفؤاد السائر، وتحذيرا من أن يغتر بمن رجع بعدما سار في سبيل الهداية ما شاء الله، **(فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ)** وما أصيب إلا بسبب تقصيره في جانب الله، وهو قوله: **(وأعطى قليلا وأكدى)** أي بخل، فرجع من حيث لا يشعر. وهذا هو السبب الواحد في كل من رجع عن الله، لأن النفس في الغالب لا تسمح ببذل الكل، والبائع أجل من أن يكايسه المبتاع. ومن النصائح ما قيل:

فَنَافِسْ بِبَذْلِ النَّفْسِ فِيهَا أخَا الْهَوَى * فَإن قَبِلَتْهَا مِنْكَ يَا حَبَّذَا الْبَذْلُ
فَمَنْ لَمْ يَجُدْ فِي حُبِّ نُعْمٍ بِنَفْسِهِ * وَلَوْ جَادَ بِالدُّنْيَا إلَيْهِ انْتَهَى الْبُخْلُ

وعليه، فعلى أي شيء حصل من رجع عن الطريق **(أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى)**، فالهمزة للاستفهام الإنكاري على مقصوده العقيم، وسيره السقيم المعدوم النتيجة، فكأنه يقول: فغاية وصوله الحرمان، لعدم تحصيله على شيء مما للقوم من العلوم الغيبية والأسرار الذوقية.

ثم استطرد كون الراجع عن الله جاهلا بأثر الأقدمين، وما كابدوه في طلب الحق، وإلا فلا يرجع، وهو قوله تعالى: **(أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الذِي وَفَّى)**. ومن المعلوم أنه لو كان اطلع على أثر النبيئين وخواص الموحدين لما اعتراه فشل في طريقه، ولهذا ذكر سبحانه وتعالى إبراهيم بقوله **(الذي وَفَّى)**، فكأنه يقول: الاتصال منوط بالوفاء، **(مِلَّةَ أَبِيكُمُ إِبْرَاهِيمَ)**. ومن وفائه - عليه السلام - أنه سلم نفسه للحريق، وامتثل لذبح ولده الشفيق. **(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَاهٌ حَلِيمٌ)** عن الحسن – رضي الله عنه –: «أن إبراهيم ما أمره الله بشيء إلا وَفَّى به. وعن عطاء بن السائب: أن إبراهيم عهد أن لا يسأل مخلوقا، فلما قذف في النار قال له جبرائيل: ألك حاجة ؟ فقال: أما إليك فلا». فمن له أدنى اطلاع على سير الصديقين وشوق المحبين لا يرى من نفسه إلا التقصير في جانب الحق كيفما صنع، إلا إذا سلم نفسه للموت، وهي عندهم من موجبات الفوت **(وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ)** فالحق أحق أن يتبع، فحضرة اللـه أعز من أن تشترى بالتمويه، فالناقد بصير، كيفما تكن يكن.

ولما كان الوهم في الغالب يطرق أصناف الطالبين، فمنهم من يظن أن يسرع به نسبه ومنهم ومنهم، رفع

سبحانه وتعالى إيهام المتوهم، لئلا يعتمد في طريقه على ما للغير، كما هي عادة أكثر المنتسبين من اعتمادهم على آبائهم وأنسابهم، وغير ذلك مما لا يوثر تزحزحا في طريق اللّه، وفي الغالب يعوق صاحبه، فقال تعالى: **(أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى)**. فظهر لنا من هذه الآية أن الإنسان لا تعوقه معصية ابنه، ولا تنهض به طاعة أبيه، وعليه فلا ينبغي للإنسان أن يعتمد في سيره إلى اللّه إلا على ما حصل عليه **(وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ)** وليس له إلا ما سعى، وهذا ما يقتضيه الفهم الخاص في هذه الآية، لأن السعي باعتبار الوجه الأكمل لا يكون إلا في طلب اللّه، وأما في غيره فبطالة واغترار.

وإني أرى من الأولى أن تصرف هذه الآية على هذا الوجه، وتكون حقيقة، وأما لو حملناها على السعي في طلب الجزاء لاحتاجت إلى تأويل، لأن الإنسان قد ينتفع بدعوة الغير، كشفاعة الشفعاء، وغير ذلك مما هو مقرر، وما ورد في هذه الآية على خلافه، فتعين أن تحمل على السير في طلب الله، لأن السائر لا ينتفع بسير غيره ضرورة، ومهما تحقق صدقه وجد مطلوبه.

كما في الحديث: (**إذا تقرب إلي عبدي شبرا تقربت له ذراعا، وإذا أتاني ماشيا أتيته هَرْوَلَةً**)، وهو معنى قوله: (**وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى**)، أي في أقرب ما يكون يحصل على نتيجة سعيه، بخلاف طالب الآخرة، فلا يحصل على مراده إلا بعد الموت، وإن كان الموت قريبا فالحق منه أقرب إليه، (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**)، وما بعدت المسافة إلا على من تولى، وأعطى قليلا وأكدى كما تقدم، (**فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ**). ولبعضهم في ذم من كانت هذه صفته:

رَضَوْا بِالأَمَانِي وَابْتُلُوا بِحُظُوظِهِمْ
وَخَاضُوا بِحَارَ الْحُبِّ دَعْوَى فَمَا ابْتَلُّوا
فَهُمْ فِي السُّرَى لَمْ يَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِهِمْ
وَمَا ضَعَنُوا فِي السَّيْرِ عَنْهُ وَقَدْ كَلُّوا

فهذه حالة من لم يوف بعهده، وأما من أخذ موثقا من اللّه أن لا يلتفت لسواه، أو وفى بما عاهد عليه اللّه، سيجعل له الرحمن ودًّا (**ثُمَّ يُجْزَيهُ الْجَزَآءَ الأَوْفَى**)، أي مما يتخيله. ولبعضهم:

وَنِلْتُ مُرَادِي فَوْقَ مَا كُنْتُ رَاجِيًا * فَوَاطَرَبَا لَوْ تَمَّ هَذَا وَدَامَ لِي

(وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ)، ولما كانت النفس الكاملة تأبى في سعيها أن يكون غير الحق جزاؤها، فهي تختلج دائما خشية أن يكون حظها ما سوى النظر إليه، فالبطبع تتشوف دائما أن تسمع موثقا من اللّه يزيدها اطمئنانا، على أن تكون غايتها غير مشوبة بشيء، فأجاب سبحانه وتعالى صاحب هذه النفس على ما يقتضيه الفيض الأقدس بقوله: (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى)، فاطمأنت بذلك القلوب، بما تحققته من رضاء المحبوب، (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا، هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)، وهذه غاية العبد من ربه، وهي المعبر عنها بالفناء في اللّه، لأن الانتهاء إليه مقتضى للفناء فيه ضرورةً لعدم ثبوت الحدوث مع القدم، (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا)، فحينئذ يبقى ولا خلق، (كنت سمعه وبصره) إلى آخره، ثم يكشف له عن حقيقة ما في الوجود، فيجد لا موجود مع اللّه، ولا ظاهر سواه، (أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى، قُلْ لاَ أَشْهَدُ، إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ)، أي هو القائم على كل نفس بما هي عليه.

وتفصيل ما أجملناه هو قوله: (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَ، وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى، وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى،

وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى، وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) وأنه هو هو، إلى ما لا نهاية الهوية في ظهور الأنانية، **(هُوَ الأُوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ)**. وهذه غاية يصل إليها الواصل، يفتح له فيها عن ملكوت السموات والأرض، فلا يرى زائدًا عن الواحد الفرد، **(اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)**، فلا غرو إن **(قَالَ هَذَا رَبِّي)** **(مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)** **(وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** **(فَلَمَّا رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي)**، وما قال هذا إلا بعد المشاهدة. **(وَلاَ يُحْزِنْكَ قَوْلُهُمْ)** من أن إبراهيم كان على غير علم من الإلهيات، **(فَذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ)** **(مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ)**.

وقد يقول من ليس له خبر بمقتضى الذات: ماذا يفعل ربك بالمكونات حتى لا تدرك عند العارف في حال طُرُوِّ الفناء عليه، **(فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا)**، فلا تستبعد ما ذكرناه، فإنه على ذلك قدير.

قال تعالى: **(وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى، وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ، إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى، وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى)**، أي أهلك وأهوى بالجميع إلى مكان سحيق، وهكذا يفعل بسائر الكائنات في نظر العارف في

حال ظهور العظمة، التـي تـأبى أن يخللها شـيء وإليها الإشارة بـالموصول فـي قولـه: (**فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى**) أي غشى الكائنات وعَمَّها ما عَمَّ من أنوار الشهود، فصارت لا ترى بانفرادها إنما ترى بظهوره سبحانه وتعالى فيها.

ولما كان الإنسان غالبا يستبعد كونه سبحانه وتعالى يظهر في الجليل والحقير، والكبير والصغير حسدا من عنده، واحتقارا لمصنوعات ربه، قال تعالى لمن هذا نعته: (**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى**)، أي فـأي شـيء احتقرتـه من آلاء الله، فصرت به تتمارى من أن يكون قـابلا للتجلي الإلهي، والحالة أنه في الحال منطوٍ في صفة منشئه، (**وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**) والكل جَارٍ على مقتضى أسمائه وصفاته. ولبعضهم:

وَكُلُّ قَبِيحٍ إِنْ نَسَبْتَ لِفِعْلِهِ * أَتَتْكَ مَعَانِي الْحُسْنِ فِيهِ تُسَارِعُ

ولما أتى سبحانه وتعالى بالبيان الكلّي فيما قدمناه مما يخفى إدراكه للعموم، نبهنا الآن على ذلك حتى لا يعدُّ من جملة أبسط المواعظ، فقال: (**هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى**) أي مما أكنته أسرار الأوائل من النبيئين والمرسلين، جاء به الحق سبحانه وتعالى على الأواخر، تشريفا لنبيهم محمد

- صلى اللّه عليه وسلم -، لكي تشارك علماء أمته أنبياء بني إسرائيل (**العلماء ورثة الأنبياء**).

ولما كانت القلوب أبعد من أن توحد، وأكثر من أن تتعظ، وإن بما قدمناه من الحقائق، وسطرناه من الرقائق، هدّدها سبحانه وتعالى بقوله: (**أَزِفَتِ الآزِفَةُ، لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ**) فوا العجب (**أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ**) استبعادا منكم لتقريره في الواقع (**وَتَضْحَكُونَ**) استخفافا واستهزاء بمن يتكلم به، وهو على بصيرة من ربه (**وَلاَ تَبْكُونَ**) أي على ما فاتكم من اللّه، فقد ضعتم، وضاعت حياتكم سبهللا. وقيل:

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ * وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلاَ سَهْمُ

(**وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ**) أي غافلون عن جميع ما يطرقكم من الإشارات، ويتلى عليكم من الآيات، وعلى كل حال (**فَاسْجُدُواْ لِلَّهِ وَاعْبُدُوا**) أي وإن كان فاتكم ما فاتكم من معرفته فلا يلزم من ذلك التقصير في عبادته، أقوام خصصوا بخدمته حتى صلحوا لجنته، وأقوام خصصوا بمحبته فصلحوا لحضرته، قال (**كُلاًّ نُمِدُّ، هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**).

اللهم يا معطي بكل وسع أسالك بكل قلب ولسان أن تواجهنا بوسعك، وتعاملنا بلطفك، ولا تحجبنا بما فينا عما فيك، يامن هو القائم على كل نفس بما كسبت، فلا تكلنا لأنفسنا، ولا تحجبنا بحظوظنا عن حقوقنا، إلا إذا كان حظنا منك، فاجعله اللّهم حظا موفورا، وأرفع عنا حجابا كان مستورا، واقبضنا إليك قبضا ميسورا، وزدنا بك بهجة وسرورا، وصل اللهم على سيدنا محمد وزده تعظيما ونورا، فإني لا أقدر قدره من جهة الصلاة عليه، إلا من حيث صلاتك عليه، وارض اللهم على أتباعه من عهدنا إلى عهده، وارحم اللهم من قلد الجميع وبذل الجهد في نصرته، وسلم تسليمًا يفوح شذاه على جميع من اعتنى بالحق ووعاه.

وقد تم ما سمح اللّه به من هاته السطور، موافقة لمن سعى فيه. زاد اللّه الجميع نورا على نوره.. صبيحة يوم الأحد خمسة عشر من ذي القعدة سنة 1333. [1]

---

(1) ـ الموافق: لشهر سبتمبر 1915.